وقد جعلته على حروف المعجم مقدماً لمن قدمته حروف اسمه وإن كان غيره أقدم منه، مبتدئاً بقطب اليمن، وجنيد ذاك الزمن الناسك المُتألِّه:

١

(إبراهيم بن أحمد بن عليّ بن أحمد الكَيْنَعيّ)[١]

بلّ اللَّه بوابل الرحمة ثراه، ولم أقف على تاريخ مولده بعد البحث عنه. وبنو الكينعي عرب لهم رياسة، وكانوا يسكنون قريةً من قرى اليمن بينها وبين ذِمَار[٢] مقدار بريد، وبها مولده، وانتقل به أبوه إلى قرية معبر[٣]. وكان قريع أوانِه وفريد زمانه في الإقبال على اللَّه والاشتغال بالعبادة والمعاملة الربانية. وبيته معمور بالعلم والزهد والصلاح. وقد ترجمه بعض معاصريه بمجلد ضخم وقفت عليه في أيام متقدمة، وأطنب في ذكره جميع من له اشتغال بهذا العلم منذ عصره إلى الآن. فمنهم السيد العلَّامة الهادي بن إبراهيم الوزير، والسيد العلّامة يَحْيَى بن المهدي بن قَاسِم بن المُطهّر، وغيرهما. وكان أحسن الناس وجهاً، وأتمهم خلقة، قد غشيه نور الإيمان، وسيماء الصالحين. وإذا خرج نهاراً ازدحم الناس على تقبيل يده والتبرُّك برؤية وجهه، وهو يكره ذلك وينفر عنه. يغضب إذا مُدِحَ، ويستبشر إذا نُصِح. ارتحل بعد موت والده وهو في سنّ البلوغ إلى صنعاء[٤]، ولازم وليّ اللَّه الزاهد العابد حاتم بن مَنْصور الحملاني، فقرأ عليه في الفقه، وقرأ في الفرائض على الشيخ الخضر بن سُليمان الهرش، وفي الجبر والمقابلة. وفاق في جميع ذلك حتى أقرَّ له أقرانه. وقال عن نفسه أنه يقتدر على تقدير ما في البركة الكبيرة من الماء بالأرطال. وكان يتكسَّب بالتجارة مع قنوعٍ وعفافٍ واشتغالٍ بأنواع العبادة، فجمع مالاً حلالاً عاد به على أهله وإخوانه ومَنْ يقصده. وكرّر السفر إلى مكة المشرَّفة وهو يزداد في

---

(١) ترجمته في الأعلام: ١/ ٢٩.

(٢) ذِمَار: قرية باليَمن، على مرحلتين من صنعاء، يُنسب إليها نَفَرٌ من أهل العلم. وقال جماعة: ذِمار اسم لصنعاء، وصنعاء كلمة حبشية، أي: حصين وثيق، قاله الحبش حين قدموا اليمن مع أبرهة وأرياط. وأكثر ما يقوله أصحاب الحديث بالكسر، وذكره ابن دُرَيْد بالفتح (ذَمَار). (معجم البلدان: ٣/ ٧ ـ ذِمار).

(٣) في معجم البلدان (٥/ ١٥٤): «مُعَبِّر»؛ وقال في تعريفه: «جبل من جبال الدهناء».

(٤) صنعاء: مدينة عظيمة، هي قصبة اليمن وأحسن بلادها، تُشبَّه بدمشق لكثرة مياهها وثمارها، وبينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً، وقيل: سُمِّيت بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عامر بن شالخ، وهو الذي بناها. وقيل: كان اسمها «أزال»، وحين رأى أهل الحبشة بنيانها الحصين، قالوا: هذه صنعة، ومعناه: حصينة، فسُمِّيت صنعاء بذلك. (معجم البلدان: ٣/ ٤٢٦).

أوصاف الخير على اختلاف أنواعها حتى خالط الخوف قلبه، وشغل بوظائف العبادة قالبه، واستوحش من كلّ معارفه، ومال إلى الانعزال عن الناس، وانجمع عن المخالطة لهم، وعكف على معالجة قلبه عن مرض حبِّ الدنيا، ولزم المحاسبة لنفسه عن كلّ جليلٍ ودقيقٍ، وصام الأبد إلّا العيدين والتشريق، وأحيا ليله بالقيام لمناجاة ربِّه، وتناقل الناس عنه كلمات نافعة هي الدواء المجرب لإصلاح القلوب القاسية، كقوله: (ليس الزاهد من يملك شيئاً إنما الزاهد من لا يملك شيئاً)، وكقوله لبعض إخوانه: (يا أخي جدِّد السفينة فإنّ البحر عميق، وأكثر الزاد فإنَّ الطريق بعيد، وأخلص العمل فإنّ الناقد بصير)، وكقوله: (بالفقر والافتقار والذلّ والانكسار تحيا قلوب العارفين).

ومن شعره الذي تحيا به القلوب قوله: [من الطويل]

بِبَابِكَ عَبْدٌ واقِفٌ مُتَضَرِّعُ ... مُقِلٌّ فَقِيرٌ سَائِلٌ مُتَطَلِّعُ
حَزِينٌ كَئِيبٌ مِنْ جَلالِكَ مُطْرِقٌ ... ذَلِيلٌ عَلِيلٌ قَلْبُهُ مُتَقَطِّعُ

ومنها:

فُؤادي مَحْزونٌ ونَوْمي مُشَرَّدٌ ... ودَمْعي مَسْفُوحٌ وقَلْبي مُرَوَّعُ

وكان مجاب الدعوة في كلِّ ما يتوجه له. وله في ذلك حكايات وروايات، وكان إذا دُعي إلى طعام ليس من الحلال الخالص يبستْ يده ولم يقدر على مدّها إليه. وقد رآه بعض الصالحين بعد موته وهو في مكانٍ أرفع من مكان إبراهيم بن أدهم[1]، فقال: سبحان اللَّه منزلة إبراهيم الكَيْنَعيّ أرفع من منزلة إبراهيم بن أدهم، فسمع قائلاً يقول: لولا أنَّ منازل الأنبياء لا يحلّ بها غيرهم لكان بها إبراهيم الكَيْنَعي. وجاور في آخر عمره ثلاث سنين بالبيت الحرام، فوصل إلى جازان، وكان قد انقطع عنهم المطر مدةً طويلةً، فسألوه أن يدعو لهم بالمطر، فدعا لهم، فحصل من المطر ما عمَّ نفعه وبركته جميع تلك البلدان. ثم وصل إلى صَعْدَة[2]، وكان بها موته رحمه اللَّه في صبح نهار الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ٧٩٣ ثلاثٍ وتسعين وسبعمائة. ووهم الصفدي في كتابه (الوافي بوفيات الأعيان) فقال: إنَّه توفي في سنة ٧٨٤ أربعٍ وثمانين وسبعمائة. والصحيح ما ذكرناه. وقُبِر برأس الميدان غربي مدينة

(١) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي، البلخي: زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغِنى في بلخ، فتَفقَّه، ورحل إلى بغداد، وجال في البلاد، وكان يعيش من العمل بالحصاد، واشتهر بزهده وورعه. توفي سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م. (الأعلام: ١/ ٣١).

(٢) صَعْدَة: مدينة في اليمن، بينها وبين صنعاء ستون فرسخاً، كانت عامرةً، آهلةً، يقصدها التجار من كلّ بلدٍ، وكانت خصبةً كثيرة الخير. (معجم البلدان: ٣/ ٤٠٦).

صَعْدَة. وعُمِّر عليه مشهدٌ، وهو مشهور يُزار في تلك الديار. وقد رثاه جماعة من الشعراء منهم السيد العلّامة الهادي إبراهيم بقصيدة طنّانة مطلعها: [من الكامل]

شَجَر السَّلامةِ والكَرامةِ أَينعي لِلقاءِ سَيِّدنا الإمامِ الكَيْنَعي

والإحاطة ببعض البعض من مناقبِ هذا الإمام تقصرُ عنها ألسنُ الأقلام، فمن رام الوقوف على ما يكون له من أعظم العِبَر فلينظر في سيرته التي قدمت الإشارة إليها. وقد بُسِطَ فيها الكلامُ على أحواله ووظائف عباداته.

٢

(إبراهيم بن أحمد اليافعي[١] الصَّنعاني المولد والدار والوفاة)

الشاعر المشهور المجيد الفائق في جميع الأنواع. فمن شعره القصيدة التي مطلعها: [من الكامل]

هَذا العذيبُ بدَا فَقُلْ بُشْرَاكَا وَالْزَمْ إِخائي لا عَدِمْتَ أَخاكَا

ومن شعره القصيدة التي مطلعها: [من الطويل]

أَعيدُوا على سَمْعي الحديثَ وكَرِّروا قَديمَ اللّقَا والوقتُ كالعَيْشِ أَخْضَرُ

ومنها في الاستخدام:

وأَصْبو إلى وادي العَقيقِ وسَفْحه على وَجْنتي مِنْ مُقلتي يَتحدَّرُ

وقبله في الاستخدام أيضاً:

أَميلُ إلى ذِكْرِ الغَضَا ثُمَّ أنثني وَنِيرانُهُ في مُهجتي تَتسَعَّرُ[٢]

وما أحسن قوله فيها:

أهيمُ بِذكْرِ المُنْحَنى وَسُويلعٍ وأنشقُ أنفاسَ الصَّبا حينَ تعبرُ[٣]

وما هِمْتُ في قَدٍّ وجيدٍ ومُقلةٍ ولا شَاقني ثَغْرٌ شَنِيبٌ مُعطَّرُ[٤]

وهو موجود في دولة الإمام المهدي مُحمّد بن أحمد صاحب المواهب، وفي

---

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١/ ١٠.

(٢) الغضا: شجرٌ خشبه صلبٌ، يدوم جَمْرُه طويلاً. تَتسَعَّرُ: تَتلهَّبُ.

(٣) ورد في معجم البلدان (٣/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧): سَلْع: موضع قرب المدينة، أو جبل في ديار هذيل، وسِلْع (بكسر السين): موضع في ديار بني أسد؛ وسَلَع (بالتحريك): موضع بين نجد والحجاز. وسويلع: تصغير سلع.

(٤) ثغرٌ شنيب: رقيقُ الأسنان أبيضها.